

### ٣٣ - باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين

والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: ٨٨] وَقَالَ تَعَالَى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف: ٢٨] وَقَالَ تَعَالَى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى: ٩ - ١٠] وَقَالَ تَعَالَى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ} [الماعون: ٦].

قَالَ اللهُ تَعَالَى ( وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ) .

قال السعدي : أي ألن لهم جانبك، وحسن لهم خلقك، محبة وإكراماً وتودداً .

كما قال تعالى ( وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) .

وقال تعالى ( لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ) .

وَقَالَ تَعَالَى ( وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) .

يأمر الله تعالى نبيه أن يجلس نفسه مع المؤمنين الذين يدعون ربهم أول النهار وآخره مخلصين له ، لا يريدون بدعائهم إلا رضا ربهم .

وقد نزلت هذه الآية في فقراء المهاجرين كعمار وصهيب وبلال وابن مسعود ونحوهم، لما أراد صناديد الكفار من النبي ﷺ أن يطردهم عنه، ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين .

وقد أمر الله نبيه بعدم طردهم :

كما قال تعالى (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) .

وهكذا أهل الكفر يطلبون ذلك من أنبيائهم .

كما قال قوم نوح لنوح (قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ) .

وكما قال سبحانه (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُطْرَقُوا) .

قال نوح (مَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَأُوا رَحْمَةً) .

(الغداة) أول النهار (العشي) آخره .

(ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) أي لا تتجاوز عينك إلى غيرهم من الأغنياء وما لديهم من زينة الحياة الدنيا.

كما قال تعالى (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَاكَ خَيْرًا وَأَبْقَى) .

وفي الآية الحث على الصبر مع الصالحين والأتقياء ولو كانوا فقراء ، وقد قال تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

وفيها أن العبرة بالإيمان والعمل الصالح لا بالمال والأحساب ، وفيها فضل الجلوس الصالحين ولو كانوا فقراء .

وأنه ينبغي على الإنسان أن يحرص على مجالسة من مجالسته تقوي الإيمان وتزيده .

وفيها فضل الإخلاص لله تعالى .

وفيها التحذير من النظر إلى الدنيا وأهلها .

وَقَالَ تَعَالَى ( فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ) . أي : كما كنت يتيماً فأواك الله فلا تقهر اليتيم ، أي لا تذله وتنهره وتهينه

ولكن أحسن إليه وتلطف به .

قال القرطبي : وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى ، فغلظ في أمره ، بتغليظ العقوبة على ظالمه .

( وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ) أي : فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله .

قال السعدي : ويدخل في هذا السائل للمال والسائل للعلم ، ولهذا كان المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم ومباشرته بالإكرام والتحنن

عليه فإن في ذلك معونة له على مقصده وإكراماً لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد .

وَقَالَ تَعَالَى ( أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ) .

يقول تعالى : أرايت يا محمد الذي يكذب بالدين ، وهو المعاد والجزاء والثواب .

والاستفهام لقصد التعجب من حال من يكذب بالدين ، والرؤية : بمعنى المعرفة ، والدين : الجزاء والحساب في الآخرة .

( فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ) أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه .

( وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ) ولا يحض ولا يحث غيره على إطعام المسكين ، ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين .

● والحض : الحث ، وهو أن تطلب غيرك فعلاً بتأكيد .

ففي الآية أن الإيمان بالآخرة حافز للطاعات ، وعدم الإيمان بالآخرة سبب للكفر وقسوة القلب والتكاسل .

قال الرازي : ... وذلك لأن إقدام الإنسان على الطاعات وإحمامه عن المحظورات إنما يكون للرغبة في الثواب والرهبة عن العقاب ، فإذا

كان منكرًا للقيامة لم يترك شيئاً من المشتبهات واللذات ، فثبت أن إنكار القيامة كالأصل لجميع أنواع الكفر والمعاصي .

قال ابن عاشور : وهذا إيذان بأن الإيمان بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة حتى

يصير ذلك لها خلقاً إذا شئت عليه ، فزكت وانسأقت إلى الخير بدون كلفة ولا احتياج إلى أمر ولا إلى مخافة ممن يقيم عليه العقوبات حتى

إذا اختلى بنفسه وأمن الرقباء جاء بالفحشاء والأعمال التكرار .

٢٦٠ - وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ ( كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سِتَّةَ نَفَرٍ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : اطْرُدْ هؤُلاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا ،

وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ . وَرَجُلٌ مِّنْ هَذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُحِبُّهُمَا ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ

نَفْسَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) رواه مسلم .

( كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سِتَّةَ نَفَرٍ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : اطْرُدْ هؤُلاءِ ) الفقراء .

( فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ ) أي : وكان النبي صلى الله عليه وسلم إنما مال إلى ذلك طمعاً في إسلامهم ، وإسلام

قومهم ، ورأى أن ذلك لا يُفَوِّتُ أصحابه شيئاً ، ولا ينقص لهم قدراً ، فمال إليه .

١- الحديث دليل فضل الضعفة من المسلمين ودفاع الله عنهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر معهم .

قال القرطبي : كان هؤُلاءِ المشركون أشراف قومهم ، وقيل : كان منهم عُيَيْنَةُ بن حصن ، والأقرع بن حابس ، أنفوا من مجالسة ضعفاء

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كصهيب ، وسلمان ، وعمار ، وبلال ، وسالم ، ومهجع ، وسعد هذا ، وابن مسعود ، وغيرهم ، ممن كان على مثل حالهم

استصغاراً لهم ، وكبراً عليهم ، واستقذاراً لهم ؛ فإنهم قالوا : يُؤذوننا برجحهم ، وفي بعض كتب التفسير أنهم لما عَرَضُوا ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ، أبي ،

فقالوا له : اجعل لنا يوماً ، ولهم يوماً ، وطلبوا أن يكتب لهم بذلك ، فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، دعا علياً ليكتب ، فقام الفقراء ، وجلسوا ناحية ،

فأنزل الله تعالى الآية .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم هم أن يفعل ذلك طمعاً في إسلامهم ، فأنزل الله تعالى ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) فنهاه

عما هم به من الطرد ، لا أنه أوقع الطرد ، ووصف أولئك بأحسن أوصافهم ، وأمره أن يصبر نفسه معهم بقوله : ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآهم بعد ذلك يقول : " مرحباً بقرابتي الله فيهم " ، وإذا جالسهم

لم يثم عنهم حتى يكونوا هم الذين يبدؤون حوله بالقيام .

قال ابن كثير : قوله تعالى : ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) ؛ أي : لا تبعد هؤُلاءِ المتصفين بهذه الصفات

عنك ، بل اجعلهم جلساتك ، وأخصائك ؛ كقوله ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) وَلَا تَعُدْ عَيْنَاكَ

عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ) .

وقوله : ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ) ؛ أي : يعبدونه ، ويسألونه ( بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) ، قال سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة : المراد به : الصلاة

المكتوبة .

وهذا كقولهِ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) أي: أُنقِذْ منكم، وقوله (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) أي: يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم، وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات، والطاعات، وقوله (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) كقول نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في جواب الذين قالوا (أَنْتُمْ مِنْ لَدُنْكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ). قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) أي: إنما حسابهم على الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وليس علي من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء، وقوله: (فَتَطَّرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ)؛ أي: إن فعلت هذا والحالة هذه. (ابن كثير).

٢- في الحديث النهي عن أن يُعْظَمَ أحدٌ لجاهه، وأثوابه، وعن أن يُخْتَفَرُ أحدٌ لخموله، وورثته ثوبه.

٣- فضائل هؤلاء الصحابة سعد، ومن معه حيث أنزل الله تعالى فيهم الآية المذكورة، وأمره بالصبر معهم، وعدم الالتفات إلى ما يقوله المشركون.

٤- بيان سبب نزول الآية الكريمة المذكورة.

٥- بيان أن أول من يتبع الأنبياء هم الضعفاء، والفقراء، والمساكين، وهو موافق لما في حديث أبي سفيان لما قال له هرقل: "فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال له: بل ضعفاؤهم، فقال هرقل: وهم أتباع الرسل"، فبين أن من سُنَّةِ الله تعالى أن يكون أول من يتبعهم هم الضعفاء، وذلك لأنهم لا طمع لهم في الرئاسة، فينقادون للحق، وأما الأشراف، فإن طمعهم في الرئاسة والملك يمنعهم أن يخضعوا للحق؛ لأنهم أن رثاستهم تذهب عنهم، مع أنهم لو أسلموا وانقادوا للحق لزادهم الإسلام شرفاً إلى شرفهم، ولكن النفس (لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ).

(وقد تقدم فضل محبة المساكين وما يتعلق بذلك).

٢٦١- وعن أبي هُبَيْرَةَ عَائِدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْمُرَيْبِيِّ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ﷺ ( أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصَهْبِيَّ وَبِلَالَ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: مَا أَخَذْتَ سُيُوفَ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ» فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخَيَّ ( رواه مسلم).

قوله: «مَأْخَذَهَا» أي: لم تستوفِ حقها منه. وقوله: «يَا أُخَيَّ»: زُوي بفتح الهمزة وكسر الحاء وتخفيف الياء، وزُوي بضم الهمزة وفتح الحاء وتشديد الياء.

( وعن أبي هُبَيْرَةَ عَائِدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْمُرَيْبِيِّ ) أبو هُبَيْرَةَ البَصْرِيُّ الصَّحَابِيُّ، شَهِدَ الحَدِيثِيَّةَ، وَمَاتَ ﷺ فِي وِلَايَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِينَ .

( أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ ) يَوْمَ كَانَ كَافِرًا .

( أَتَى عَلَى سَلْمَانَ ) الْفَارِسِيِّ .

( وَصَهْبِيٍّ ) الرُّومِيِّ .

( وَبِلَالَ ) ابْنَ رِيَاحٍ .

( فَقَالُوا: مَا أَخَذْتَ سُيُوفَ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ ) يَعْنِي أَبَا سُفْيَانَ .

( مَا أَخَذَهَا ) حَقَّهَا .

قال النووي -رحمته الله-؛ ضبطه بوجهين: أحدهما: بالقصر، وفتح الحاء، والثاني: بالمد، وكسرها، وكلاهما صحيح، وهذا الإتيان لأبي

سفيان كان، وهو كافر، في الهدنة بعد صلح الحديبية

( فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَتَقُولُونَ هَذَا ) اسْتَفْهَامٌ إِنكَارِيٌّ .

( لِشَيْخِ قُرَيْشٍ ) يَعْنِي أَبَا سُفْيَانَ .

( فَاتَى ) أبو بكر .

( النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ) بما قال هؤلاء ، ولعل إخباره يُنكر عليهم كما أنكر هو .

( فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ؟ ) أي: سلمان ، وصهيباً ، وبلالاً ﷺ .

( لَكِنَّ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّنَا ) أي: لكونك أغضبت أوليائه، فمن أغضبهم فقد أغضب الله عزَّ وجلَّ .

١- الحديث دليل على فضل ضعفة أهل الإيمان .

٢- أن العبرة بالإيمان والتقوى .

٣- بيان فضيلة هؤلاء الصحابة الأجلاء: سلمان، وصهيب، وبلال ﷺ، ورفعة منازلهم عند الله سبحانه وتعالى .

٤- أن الإيمان يرفع العبد .

٥- إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

٦- أن الله يدافع عن أوليائه كما في الحديث القدسي ( من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ) .

٧- أن فيه مراعاةً لقلوب الضعفاء، وأهل الدين، وإكرامهم، وملاطفتهم.

٨- أنه ينبغي البعد عما يُغضب الصالحين، ويؤذيهم؛ لأنه يُغضب الرب سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم.

٩- الاستغفار والتحلل من المظلوم .

١٠- فضل أبي بكر ورجوعه للحق ، حيث سارع هؤلاء واسترضى منهم .

٢٦٢ - وعن سهل بن سعد ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ) وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى، وَقَرَّجَ بَيْنَهُمَا ( رواه البخاري).

و «كَافِلُ الْيَتِيمِ»: الْقَائِمُ بِأَمُورِهِ.

٢٦٣ - وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لغيرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ) وَأَشَارَ الرَّاوي وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى. رواه مسلم.

وقوله ﷺ ( الْيَتِيمُ لَهُ أَوْ لغيرِهِ ) مَعْنَاهُ: قَرِيبُهُ، أَوْ الْأَجْبِيُّ مِنْهُ، فَالْقَرِيبُ مِثْلُ أَنْ تَكْفُلَهُ أُمُّهُ أَوْ جَدُّهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ غَيْرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ .

( أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ ) قال النووي : و "كَافِلُ الْيَتِيمِ" : الْقَائِمُ بِأَمُورِهِ .

واليتيم في الشرع: هو مَنْ مات أبوه وهو دون البلوغ، وبعد البلوغ لا يسمّى يتيمًا؛ لقول رسول الله ﷺ : لا يُتَمُّ بعد احتلام، ولا يُتَمُّ على جارية إذا هي حاضت . رواه الطبراني، وقال الهيثمي: رجاله ثقات .

فلفظ اليتيم الوارد في الكتاب والسنة يُراد به مَنْ مات أبوه وهو لم يبلغ -من الذكور والإناث- الحُلُم.

( السَّبَابَةُ وَالْوَسْطَى ) إشارة إلى تقارب المنزلتين ، وقال في "الفتح": قوله: "وأشار بإصبعه السبابة"، في رواية الكشميهي: "السبابة" بمهملة، بدل الموحدة الثانية، و"السبابة" هي الإصبع التي تلي الإبهام، سُميت بذلك؛ لأنها يُسَبَّحُ بها في الصلاة، فيشار بها في التشهد لذلك، وهي السبابة أيضًا، لأنها يُسَبُّ بها الشيطان حينئذٍ.

وفي الرواية الأخرى للبخاري ( وفرج بينهما ) أي: بين السبابة والوسطى .

١- الحديث دليل على فضل كفالة اليتيم ، وأن ذلك من أسباب دخول الجنة .

وهذا الأجر سواء كان اليتيم له أو لغيره :

لرواية مسلم (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لغيرِهِ) .

قال النووي : قَوْلُهُ ( لَهُ أَوْ لغيرِهِ ) فَالَّذِي لَهُ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا لَهُ كَجَدِّهِ وَأُمِّهِ وَجَدَّتِهِ وَأَخِيهِ وَأُخْتِهِ وَعَمِّهِ وَخَالَهِ وَعَمَّتِهِ وَخَالَتَهُ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَالَّذِي لغيرِهِ أَنْ يَكُونَ أَجْنَبِيًّا . ( نووي ) .

وأخرج البزار من حديث أبي هريرة موصولاً ( من كفل يتيمًا ذا قرابة، أو لا قرابة له ) وهذه الرواية تفسر المراد بالرواية التي قبلها. وكفالة اليتيم من الأمور التي جاءت الشريعة بالحث عليها والترغيب بها :

قال تعالى ( يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِذَا السَّبِيلِ ) .

وقال تعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْمُجْتَبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَإِذَا السَّبِيلِ) .

وقال النبي ﷺ ( من ضم يتيمًا بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة ) رواه أبو يعلى والطبراني وأحمد مختصراً بإسناد حسن كما قال الحافظ المنذري

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ( أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه ؟ قال: أتحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتذكر حاجتك ) رواه الطبراني .

وبخ سبحانه من لم يكرم يتيمًا :

فقال تعالى (كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ) .

وقرن دعه وهو قهره وظلمه بالتكذيب بيوم الدين :

فقال سبحانه (فَدَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) .

ونهى الله صفوة خلقه أن يقهر أحدًا منهم :

فقال تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) .

وقد أمر الله بحفظ أموالهم، ونهى عن قربها إلا بالحسنى :

قال تعالى ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ) .

ولا يتولى أموالهم إلا القوي الأمين ، ونهى النبي ﷺ الضعيف أن يتولى شيئًا من أموالهم :

فقال ﷺ ( يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَىٰ النَّاسِ، وَلَا تَوْلَيَْنَّ مَالَ يَتِيمٍ ) رواه مسلم . وإطعام الأيتام سبب لدخول الجنة :

قال تعالى ( وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ) .

روى البخاري في الأدب المفرد: أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان لا يأكل طعامًا إلا وعلى خوانه يتيم .

ومن أراد تليين قلبه فليطعم المسكين، وليمسح رأس اليتيم :

قال ﷺ ( إِنْ أُرِدْتَ أَنْ يَلِينَنَّ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ ) رواه أحمد .

وأطيب المال ما أعطي منه اليتيم :

قال ﷺ ( إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوَّةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبِ الْمِسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمِسْكِينِ، وَالْيَتِيمِ، وَإِذَا السَّبِيلِ ) .

وعد الشارع الاعتداء على مال اليتيم من كبائر الذنوب :

قال تعالى ( وَأَنْتُمْ الْيَتَامَىٰ أَمْوَالُهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ) .

وقال ﷺ ( اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ : وذكر منها: أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ... ) .

والإنفاق على اليتيم سبيل للنجاة من الكروب والخطوب والمزالق والمخاطر :

قال الله في كتابه العزيز: ( فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَكُ رَقَبَةً \* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ \* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ \* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ) .

ولقد جعل النبي ﷺ حق الضعيفين : اليتيم والمرأة من أولى الحقوق بالرعاية والعناية :

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( اللَّهُمَّ إِنِّي أُرَجِّحُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ : حَقَّ الْيَتِيمِ ، وَحَقَّ الْمَرْأَةِ ) .

٢- معنى كفالة اليتيم :

قال النووي ( كَافِلُ الْيَتِيمِ ) الْقَائِمُ بِأُمُورِهِ مِنْ نَفَقَةٍ وَكِسْفَةٍ وَتَأْدِيبٍ وَتَرْبِيَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهَذِهِ الْفَضِيلَةُ تَحْصُلُ لِمَنْ كَفَّلَهُ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ ، أَوْ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ بِوِلَايَةٍ شَرْعِيَّةٍ .

وقال في "الفتح" : قوله: ( أنا وكافل اليتيم ) أي: القيم بأمره ومصالحه ، وفي رواية ( كافل اليتيم له ، أو لغيره ) .

وقال ابن الأثير : ( الكافل هو القائم بأمر اليتيم ، المرئي له ) .

ولما عرف النووي رحمه الله ، في كتابه رياض الصالحين ، كافل اليتيم بأنه القائم بأمره ، قال شارحه : ( دينا ودنيا ، وذلك بالنفقة والكسوة ، وغير ذلك ) ( دليل الفالحين ) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : كفالة اليتيم هي القيام بما يصلحه في دينه ودنياه ؛ بما يصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم ، وما أشبه ذلك ، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن .

قال ابن بطال : حقّ على من سمع هذا الحديث أن يعمل به؛ ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك.

٣- قوله ( وَقَالَ بِإِصْبَعِيهِ السَّبَابَةُ وَالْوَسْطَى ) زاد في رواية ( وفرج بينهما ) أي: بين السبابة والوسطى .

وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قَدْرٌ تفاوت ما بين السبابة والوسطى، وهو نظير الحديث الآخر: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ..." الحديث.

وزعم بعضهم أنه ﷺ لما قال ذلك استوت إصبعاه في تلك الساعة، ثم عادتا إلى حالهما الطبيعية الأصلية؛ تأكيداً لأمر كفالة اليتيم ، وتعقبه الحافظ قائلًا: مثل هذا لا يثبت بالاحتمال، ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى.

وقد وقع في رواية لأم سعيد عند الطبراني: "معني في الجنة كهاتين- يعني: المسبحة والوسطى- إذا اتقى."

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: قَرَبَ الْمَنْزِلَةَ حَالَةَ دُخُولِي الْجَنَّةِ؛ لِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ ( أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَبَادَرَنِي ، فَأَقُولُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ تَأْتِمُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي " ، ورواته لا بأس بهم .

وقوله ( تبادرنني ) أي: لتدخل معي ، أو تدخل في إثري .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَجْمُوعَ الْأَمْرَيْنِ: سُرْعَةَ الدُّخُولِ ، وَعَلَوْ الْمَنْزِلَةَ . ( الفتح ) .

٤- قال الحافظ : قال شيخنا في شرح الترمذي: لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة، أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي ﷺ ، أو منزلة النبي ﷺ لكون النبي ﷺ شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل، ولا دنياه، ويرشده، ويعلمه، ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك .

٥- هل يدخل في كفالة اليتيم مَنْ يَرِيّ الْيَتِيمَ وَيُنْفِقُ عَلَيْهِ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ؟

فمثلاً بعض الناس يتوفى قريبه - كأخيه- ثم يتزوج زوجته ويقوم بحضانة أبناء أخيه وتربيتهم؛ لكنّه ينفق عليهم من المال الذي يأتيهم من قِبَلِ آبِيهِمْ ، من معاش تقاعدي أو إرث، ولا ينفق عليهم من ماله الخاصِّ، فهل هذا داخل في كفالة اليتيم؟! .

أجاب النووي بقوله : كافل اليتيم القائم بأمره، من نفقة وكسوة، وتأديب وتربية، وغير ذلك، وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية .

٦- من النماذج المشرفة لصغار عاشوا حياة اليتيم، ونفع الله بهم، وأصبحوا من علماء الأمة، وجهابذة العلم :

الإمام الشافعي رحمه الله، فقد أباه وهو دون العامين، فنشأ في حجر أمه في قلة من العيش، وضيق من الحال، يقول: كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام. وقد حفظ القرآن، وجالس العلماء، حتى ساد أهل زمانه. ومنهم الإمام أحمد بن حنبل مات والده وهو حمل في بطن والدته، وعاش حياة فقر وفاقة، فحضنته أمه وأدبته، وأحسن تربيتها، قال رحمه الله: كانت أمي توقظني قبل الفجر بوقت طويل وعمري عشر سنين، وتدفعني لي الماء في الشتاء، ثم نصلي أنا وإياها ما شئنا من صلاة التهجد، ثم تنطلق بي إلى المسجد في طريق بعيد مظلم موحش لتصلي معي صلاة الفجر في المسجد، وتبقى معي حتى منتصف النهار

تنتظر فراغي من طلب العلم وحفظ القرآن.

ومنهم الإمام البخاري صاحب الصحيح، فقد نشأ يتيمًا في صغره، وقرأ على ألف شيخ، وصنف كتابه الصحيح، وغيره من الكتب النافعة.

فبصير الأمهات وجهادهن خرج هؤلاء العلماء الأفاضل .

٧- بعض أسباب دخول الجنة :

**أولاً : تقوى الله .**

كما قال تعالى ( وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ) .

وقال تعالى ( إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ) .

وقال تعالى ( وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ) .

وقال تعالى ( وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ) .

وقال تعالى ( وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ) .

وسئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال ( تقوى الله وحسن الخلق ) رواه الترمذي .

**ثانياً : المحافظة على صلاة العصر والفجر .**

عن أبي موسى . أن رسول الله ﷺ قال ( مَنْ صَلَّى الْبُرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ) متفق عليه .

**ثالثاً : التلطف بالشهادتين مع العمل بمقتضاها .**

قال ﷺ ( ...أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولَ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهَمَّا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ) متفق عليه .

وفي حديث أبي هريرة الطويل وفيه ( قال أبو هريرة ، فَقَالَ ﷺ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ : اذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيَتْ مِنْ

وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيَقِنًا بِمَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ) متفق عليه .

**رابعاً : إحصاء أسماء الله .**

قال ﷺ ( إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ) متفق عليه .

**خامساً : قراءة آية الكرسي بعد الفريضة .**

قال ﷺ ( من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ) رواه النسائي .

**سادساً : الذكر بعد الوضوء .**

قال ﷺ ( مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ

لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ) رواه مسلم .

**سابعاً : لا حول ولا قوة إلا بالله .**

قال ﷺ ( لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة ) متفق عليه .

**ثامناً : سؤال الله الجنة .**

قال ﷺ ( من سأل الله الجنة ثلاث مرات ، قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ) رواه الترمذي .

**تاسعاً : طلب العلم ابتغاء مرضات الله .**

قال ﷺ ( من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ) رواه مسلم .

**عاشراً : السنن الرواتب .**

قال ﷺ ( مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ )

رواه مسلم .

الحادي عشر : الحج المبرور .

قال ﷺ ( والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ) متفق عليه .

الثاني عشر : كفالة اليتيم .

لحديث الباب ( أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ... ) .

الثالث عشر : إطعام الطعام والصلاة بالليل .

قال ﷺ ( أيها الناس أتعلموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ) رواه الترمذي .

الرابع عشر : كلمة التوحيد .

قال ﷺ ( من مات وهو يعلم أن لا إله إلا هو دخل الجنة ) رواه مسلم .

٢٦٤ - وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية في الصحيحين: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنِيًّا يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» .

( لَيْسَ الْمِسْكِينُ ) أي : الكامل في المسكنة .

( الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ ) لسؤالهم .

( تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ) أي : يُرَدُّ عَلَى الْأَبْوَابِ لِأَجْلِ اللَّقْمَةِ، أَوْ أَنَّهُ إِذَا أَخَذَ اللَّقْمَةَ رَجَعَ إِلَى بَابٍ آخَرَ، فَكَأَنَّ اللَّقْمَةَ رَدَّتْهُ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ .

وفي رواية للبخاري: "ليس المسكين الذي تردّه الأكلة، والأكلتان، ولكن المسكين الذي ليس له غنى، ويستحيي، أو لا يسأل الناس إلفاً".

( وَلَكِنَّ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنِيًّا يُغْنِيهِ ) أي : لا يجد مالا يكفيه ويستغني به عن سؤال الناس .

( وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ) أي : لا يعلمون بحاله وفقره وحاجته .

١- في الحديث معنى المسكين حقيقة ، وهو المتعفف الذي لا يطوف على الناس ولا يسألهم .

معنى الحديث :

قال النووي : معناه : الْمِسْكِينُ الْكَامِلُ الْمَسْكِنَةُ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ بِالصَّدَقَةِ وَأَحْوَجُ إِلَيْهَا لَيْسَ هُوَ هَذَا الطَّوَّافُ، بَلْ هُوَ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنِيًّا يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ . وَلَيْسَ مَعْنَاهُ نَفْيُ أَصْلِ الْمَسْكِنَةِ عَنِ الطَّوَّافِ، بَلْ مَعْنَاهُ نَفْيُ كَمَالِ الْمَسْكِنَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ( لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

وقال ولي الدين رحمه الله: قال العلماء: معنى الحديث أن المسكين الكامل المسكنة هو المتعفف الذي لا يطوف على الناس، ولا يسألهم، ولا يُفْطَنُ لحاله، وليس معناه نفي أصل المسكنة عن الطَّوَّافِ، وإنما معناه نفي كمالها، وهذا كقوله ﷺ: "أتدرون من المفلس؟ ... " الحديث، وكقوله ﷺ: "أتدرون من الرُّؤُوبِ؟ ... " وكقوله تعالى: ( لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ ) .

٢- فِيهِ أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمُتَعَفِّفِ أَفْضَلُ مِنْهَا عَلَى السَّائِلِ الطَّوَّافِ .

٣- أَنَّ الْمَسْكِنَةَ إِنَّمَا تُحْمَدُ مَعَ الْعَقَّةِ عَنِ السُّؤَالِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْحَاجَةِ .

٤ - استحباب الحياء في كل الأحوال .

٥- فضل التعفف ، وفي الحديث ( ومن يستعفف يعفه الله ) .

٦- وفي الحديث إشارة إلى أنه ينبغي للمسكين أن يصبر وأن ينتظر الفرج من الله ، وأن لا يتكفف الناس أعطوه أو منعه ؛ لأن الإنسان



إذا علق قلبه بالخلق وكل إليهم ، كما جاء في الحديث : من تعلق شيئاً وكل إليه . ( ابن عثيمين ) .

٧- فضل الاستغناء عن الناس .

٢٦٥ - وعنه، عن النبي ﷺ قَالَ ( السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَحْسَبُهُ قَالَ: «وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

( السَّاعِي ) المراد بالساعي: الكاسب لهما العامل لمؤنتهما، قاله النووي .

وقال في "الفتح" : معني الساعي: الذي يذهب ويحيي في تحصيل ما ينفع الأرملة، والمسكين .

( عَلَى الْأَرْمَلَةِ ) هي: من لا زوج لها، سواء كانت تزوجت أم لا، وقيل: هي التي، فارقت زوجها .

قال ابن قتيبة: سُميت أرملة؛ لِمَا يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر، وذهاب الزاد بفقد الزوج، يقال: أرمل الرجل إذا فنى زاده .

( وَالْمَسْكِينِ ) هو من لا شيء له، وقيل: من له بعض الشيء، وقد يقع على الضعيف، وفي معناه الفقير، بل بالأولى عند بعضهم .

( كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) أي: لإعلاء كلمة الله تعالى؛ أي: ثواب القائم بأمرهما، وإصلاح شأنهما، والإنفاق عليهما، كتواب الغازي في جهاده، فإن المال شقيق الروح، وفي بذله مخالفة النفس، ومطالبة رضا الرب .

( وَأَحْسَبُهُ قَالَ يَشْكُ الْقَعْنِي ) بكسر السين، وفتحها؛ أي: أظنه، وقائله عبد الله بن مسلمة القعنبي شيخ البخاري ومسلم الراوي عن مالك، كما صرح به في رواية هنا ، ومعناه: أظن أن مالكا قال: كالقائم .

( كَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ ) هما عبارتان عن الصوم بالنهار، والقيام بالليل، كقولهم: نهاره صائم، وليله قائم، يريدون الديمومة .

١- الحديث دليل على الفضل العظيم والأجر الكبير في السعي على الأرملة والمسكين .

قال ابن هبيرة : والمراد أن الله تعالى يجمع له ثواب الصائم والقائم والمجاهد في دفعة ؛ وذلك أنه قام للأرملة مقام زوجها الذي سلبها إياه القدر ، وأرضاها عن ربهما ، وقام على ذلك المسكين الذي عجز عن قيامه بنفسه ؛ فأنتفق هذا فضل قوته ، وتصديق بجلده ؛ فكان نفعه إذا [ يكافئ ] الصوم والقيام والجهاد . انتهى .

٢- أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته .

عن ابن عمر رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ ( الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُظْلَمُهُ . مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً ، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ) رواه مسلم .

وفي حديث أبي هريرة . قال : قال ﷺ ( والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ) رواه مسلم .

وفي حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ( مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ ) رواه مسلم .

قال ابن رجب: وخرَّج الطبراني من حديث عمر مرفوعاً (أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن: كسوت عورته، أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجة) .

وبعث الحسن البصري قوماً من أصحابه في قضاء حاجة لرجل وقال لهم : مرؤا بثابت البناني ، فخذوه معكم ، فأتوا ثابتاً ، فقال : أنا معتكف ، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه ، فقال : قولوا له : يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة ؟ فرجعوا إلى ثابت ، فترك اعتكافه ، وذهب معهم .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابنة لخباب بن الأرت ، قالت : خرج خبَّاب في سرية ، فكان النبي ﷺ يتعاهدنا حتى يلبس عنزة لنا في حنفية لنا ، فتمتلئ حتى تفيض ، فلما قدم خبَّاب حلبها ، فعاد جلاهما إلى ما كان .

وكان أبو بكر الصديق ﷺ يلبس للحبي أغنامهم ، فلما استخلف ، قالت جارية منهم : الآن لا يلبسها ، فقال أبو بكر : بلى وإني لأرجو أن لا يعيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله ، أو كما قال .

وكان عمر يتعاهد الأرمال فيستقي لهن الماء بالليل ، ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة ، فدخل إليها طلحة نهاراً ، فإذا هي عجوز عمياء

مقعدةً ، فسألها : ما يصنع هذا الرجلُ عندك ؟ قالت : هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني يأتيني بما يُصليحني ، ويخرج عني الأذى ، فقال طلحة : ثكلتك أمك طلحةُ ، عثراتِ عمر تتبع ؟

وكان أبو وائل يطوفُ على نساء الحَيِّ وعجائزهم كلَّ يوم ، فيشتري لهنَّ حوائجهنَّ وما يُصليحهنَّ .

وقال مجاهد : صحبتُ ابنَ عمر في السفر لأخدمه ، فكان يُخدمني .

وكان كثيرٌ من الصَّالحين يشترطُ على أصحابه في السفر أن يُخدمهم . ( جامع العلوم ) .

**قال ابن القيم** - رحمه الله - في وصف شيخ الإسلام ابن تيمية : كان شيخ الإسلام يسعى سعيًا شديدًا لقضاء حوائج الناس .

قال الذهبي عن شيخ الإسلام رحمه الله ابن تيمية : وله محبوبون من العلماء، والصلحاء، ومن الجنود، والأمراء، ومن التجار والكبراء وسائر العامة تحبه ، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهارًا، بلسانه وقلمه .

كان علي بن الحسين - رحمه الله - يحمل الخبز إلى بيوت المساكين في الظلام فلما مات فقدوا ذلك ، كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معاشهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كان يأتيهم بالليل .

**قال ابن رجب** : حب المساكين مستلزم لإخلاص العمل لله تعالى ، والإخلاص هو أساس الأعمال الذي لا تثبت الأعمال إلا عليه .

ولم يزل السلف يوصون بحب المساكين .

كتب الثوري إلى بعض إخوانه: عليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم ، فإن رسول الله ﷺ كان يسأل ربه حب المساكين .

ويروى عن أبي هريرة قال: كان جعفر بن أبي طالب يحب المساكين ويجلس إليهم ويحدثهم ويحدثونه ، وكان النبي ﷺ يكتبه أبا المساكين .

وكانت زينب بنت خزيمة تسمى أم المساكين لكثرة إحسانها إليهم ، وتوفيت في حياة النبي ﷺ .

ومر الحسن بن علي على مساكين يأكلون ، فدعوه فأجابهم وأكل معهم وتلا (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) .

وكان ابن عمر لا يأكل غالباً إلا مع المساكين ، وكان يقول: لعل بعض هؤلاء أن يكون ملكاً يوم القيامة .

وكان سفيان الثوري يعظم المساكين ، ويجفو أهل الدنيا ، فكان الفقراء في مجلسه هم الأغنياء والأغنياء هم الفقراء .

وقال سليمان التيمي: كنا إذا طلبنا عليه أصحابنا وجدناهم عند الفقراء والمساكين .

وقال الفضيل: من أراد عز الآخرة فليكن مجلسه مع المساكين .

٣- من فوائد السعي في نفع المساكين أن الإنسان يشكر الله على ما أنعم الله عليه من الخير ، ويحبهم .

وفي الحديث قال ﷺ (اللهم إني أسألك فعل الخيرات ... وحب المساكين) .

قال ابن رجب : اعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة:

**منها: أنها توجب إخلاص العمل لله.**

لأن الإحسان إليهم محبتهم لا يكون إلا لله تعالى ، لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالباً .

**ومنها: أنها تزيد الكبر.**

لأن المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين ، كما سبق عن رؤساء قريش والأعراب .

**ومنها: أنه يوجب صلاح القلب وخشوعه.**

ففي حديث أبي هريرة (أن رجلاً شكى إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه ، فقال له: إن أحببت أن يلين قلبك فأطعم المسكين ، وامسح رأس اليتيم) رواه أحمد .

**ومنها: أن مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل ، وتعظم عنده نعمة الله .**

ومجالسة الأغنياء توجب التسخط بالرزق ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه ، وقد نهي الله عز وجل نبيه ﷺ عن ذلك فقال تعالى (وَلَا

تُدَدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) وقال ﷺ (انظروا إلى من دونكم ، ولا

تنظروا إلى من فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) .

ومنها: أن النبي ﷺ أوصى بحب المساكين.

قال أبو الدرداء (أوصاني رسول الله ﷺ أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأوصاني أن أحب المساكين وأن أدنو منهم).

وكان عون بن عبد الله يجالس الأغنياء فلا يزال في غم، لأنه لا يزال يرى من هو أحسن منه لباساً ومركباً وطعاماً ومسكناً، فتركهم وجالس المساكين فاستراح.

ويروى أن داود كان يجالس المساكين ويقول: مسكين بين مساكين.

٣- حرص الإسلام على الفقراء والضعفاء .

٤- فضل الجهاد في سبيل الله .

٢٦٦ - وعنه، عن النبي ﷺ قَالَ ( شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) رواه مسلم.

وفي رواية في الصحيحين، عن أبي هريرة من قوله: ( بئس الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ ) .

( شَرُّ الطَّعَامِ ) وفي رواية ( بئس الطعام ) ليس الذم متجها إلى الطعام نفسه (المأكول) لكن الذم إلى العمل الذي اقترن به. (يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا) أي: يكف عنها من لو دعي لسارع إلى الجي، والمراد بهم الفقراء والمساكين [وهذه جملة تعليلية].

(وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ) هذا الإطلاق لا بد فيه من قيد: من لم يجب بدون عذر.

١- الحديث دليل على ذم الوليمة التي يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء .

وهذه الجملة ( يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا ، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا ) فيها ثلاثة فوائد:

الأولى: أنها للتعليل .

الثانية: فيها الإخبار عن واقع الناس .

الثالثة: فيها التحذير، كأنه قيل: لا ينبغي أن يدعى لها من يأبأها ويمنعها من يأتيها.

قال النووي: معنى هذا الحديث الإخبار بما يقع من الناس بعده ﷺ من مراعاة الأغنياء في الولائم، ونحوها، وتخصيصهم بالدعوة، وإيثارهم بطيب الطعام، ورفع مجالسهم، وتقديمهم، وغير ذلك مما هو الغالب في الولائم، والله المستعان. ( شرح مسلم ) .

قال الحافظ ابن حجر: أي أنها تكون شر الطَّعَامِ إِذَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : ( إِذَا خُصَّ الْعَنِيَّ وَتُرِكَ الْفَقِيرُ أَمْرًا أَنْ لَا يُجِيبَ ) .

وقال الشيخ ابن عثيمين: فسر هذه الوليمة التي طعامها شر الطعام وهي التي يدعى إليها من يأبأها ويمنعها من يأتيها، يعني يدعى إليها الأغنياء، والغني لا يحرص على الحضور إذا دعي؛ لأنه مستغن بماله، ويمنع منها الفقراء؛ والفقير هو الذي إذا دعي أجاب، فهذه الوليمة ليست وليمة مقرية إلى الله؛ لأنه لا يدعى إليها من هم أحق بها، وهم الفقراء؛ بل يدعى إليها الأغنياء .

٢- استحباب دعوة الفقراء والمحتاجين .

٣- اهتمام الإسلام بالفقراء والمحتاجين .

٤- التنبيه على أنه ينبغي أن تؤكل الوليمة ولا تترك .

٥- حب الفقراء ودعوتهم دليل الإخلاص .

٦- وجوب الدعوة إذا كانت عرساً، وقد تقدم بحث ذلك .

٢٦٧ - وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ ( مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ ) وَضَمَّ أَصَابِعَهُ . رواه مسلم  
٢٦٨ - وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ ( دَخَلْتُ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَفَسَمَّتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنْ ابْتَلَى مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

٢٦٩ - وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ ( جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ مَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطَعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ اللَّيْلَ صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ ) . رواه مسلم

( من عال ) أي: قام عليهما بما يصلحهما، ويحفظهما .

قال النووي رحمه الله: معنى عالهما: قام عليهما بالمؤنة، والتزبية، ونحوهما، مأخوذ من العول، وهو القرب، ومنه: ابدأ بمن تعول، ومعناه: جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين .

( جَارِيَتَيْنِ ) أي: بنتين .

( وَضَمَّ أَصَابِعَهُ ) أي: أصبعيه، وهما الوسطى، والتي تليها، كما هو مفسر في رواية ابن حبان؛ يعني: أنه ﷺ قرن بين إصبعيه .

( جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ ) قال الحافظ: لم أف أف على أسمائهن .

( تَسْأَلُنِي ) شيئاً من الطعام .

( فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا فَفَسَمَّتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ) ولم تأكل منها شيئاً، كما في رواية أخرى .

( مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا ) من الولاية، ووقع ( من ابتلي ) من الابتلاء .

( فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ ) أي: صانهن وقام بما يصلحهن، ونظر في أصلح الأحوال لهن .

( كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ ) أي: حجاباً من النار .

( جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ) أي: أعطتها طعاماً .

ثلاث ممرات ( تقدم في الرواية السابقة أن قالت: "لم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها"، والأقرب في الجمع الحمل على تعدد القصّة .

( فَاسْتَطَعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا ) أي: سألتها تلك التمرة .

( فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا ) هذا من شدة رافتها بابنتيها، ولذا وجب لها الجنة .

( فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا ) أي: حالها الذي جرى بينها وبين ابنتيها في تلك التمرة، وفي رواية ابن حبان: فأعجبني حنانها .

( إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا ) أي: لهذه المرأة .

( بِهَا ) أي: بسبب هذه الصنعة، وهي إثارة ابنتيها على نفسها بتلك التمرة،

( الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ ) وفي رواية ابن حبان: "إن الله قد أوجب لها الجنة، وأعتقها بها من النار .

١- في هذه الأحاديث دليل على فضل رحمة البنات والإحسان إليهن والقيام بما يصلحهن، وأن ذلك سبب في دخول الجنة والنجاة من النار .

فالإحسان إلى البنات سبب لمرافقة النبي ﷺ في الجنة .

أ- كما في حديث الباب .

ولفظ الترمذي ( من عال جارياتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين ) وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها .

ب- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ( من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة، قيل يا رسول الله

فإن كانتا اثنتين ؟ قال: وإن كانتا اثنتين ( رواه أحمد .

ج- وعند الطبراني من حديث ابن عباس ( فأنفق عليهن وزوجهن، وأحسن أدهن ) .

ومن أسباب النجاة من النار .

أ- عن عائشة قالت ( جاءني امرأة معها ابنتان تسألني فلم يجد عندي غير تمر واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار ) متفق عليه .

وعند الترمذي ( من ابتلى بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجاباً من النار ) .

ب- وعن عائشة أيضاً أنها قالت ( جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمره ورفعت إلى فيها تمر لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمر التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فدكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال « إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار ) .

ج- وعن عتبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ( من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن ، وأطعمهن ، وسقاهن ، وكساهن من جدته كن له حجاباً من النار يوم القيامة ) رواه ابن ماجه .

قال القرطبي: قوله (فأحسن إليهن) أي: صانحن، وقام بما يصلحهن، ونظر في أصلح الأحوال لهن، فمن فعل ذلك، وقصد به وجه الله

تعالى، عافاه الله تعالى من النار، وبعده منها، وهو المعبر عنه بالستر من النار، ولا شك في أن من لم يدخل النار دخل الجنة،

٢- قوله ﷺ ( من ابتلي من البنات بشيء ) إنما سمأه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن في العادة وقال الله تعالى ( وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم ) . ( شرح مسلم ) .

٣- وقد اختلف في المراد بالإحسان هل يقتصر به على قدر الواجب أو بما زاد عليه :

والظاهر الثاني : فإن عائشة أعطت المرأة التمره فأثرت بما ابنتيها فوصفها النبي ﷺ بالإحسان بما أشار إليه من الحكم المذكور ، فدل على أن من فعل معروفاً لم يكن واجباً عليه أو زاد على قدر الواجب عليه غداً محسناً ، والذي يقتصر على الواجب وإن كان يوصف بكونه محسناً لكن المراد من الوصف المذكور قدر زائد وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤه عنه بزواج أو غيره كما أشير إليه في بعض ألفاظ الحديث . ( الفتح ) .

٤- من المعلوم أن العرب في الجاهلية كانوا لا يحبون البنات، ويتربون الأولاد، للوقوف إلى جانبهم ومساندتهم في حياتهم وحروبهم .

أما البنت فكانوا لا يحبونها، وكان عدم حبهم لها والخوف من عارها يحمل بعضهم على كراهتها بل وعلى قتلها ووأدها .

كما قال الله تعالى ( وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم \* يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّرَ به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا ساء ما يحكمون ) .

وقال تعالى ( وإذا المؤمنة سئلت \* بأيّ ذنب قتلت ) .

حتى بعث الله نبينا محمداً ﷺ ، فحرم وحرم هذه الفعلة الشنعاء وهي وأد البنات .

فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ( إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال ) متفق عليه .

قال ابن حجر : قوله ﷺ ( ووأد البنات ) هو دفن البنات بالحياة، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك كراهة فيهن .

وعن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ ( من ولدت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله بها الجنة ) . رواه أحمد

وهذان الحديثان وما جاء في معناهما يدلان صراحة على أن البنات كن محلاً لجاهلات وبغض بعض العرب إبان بعثة النبي ﷺ .

٥- تأكيد حق البنات؛ لما فيهن من الضعف غالباً عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور؛ لما فيهم من قوة البدن، وجزالة الرأي، وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال .

٦- سخاء عائشة - رضي الله عنها -؛ لكونها لم تجد إلا تمره فأثرت بها .

٧- أن القليل لا يمتنع التصديق به؛ لحقارته، بل ينبغي للمتصدق أن يتصدق بما تيسر له قلّ أو أكثر.

٨- جواز ذكر المعروف، إن لم يكن على وجه الفخر، ولا المنّة.

٩- فضل الإحسان في الأعمال لقوله ( فأحسن إليهن ... ) .

١٠- بعض الأسباب التي تنجي من النار :

**أولاً : الرحمة والعطف على البنات .**

كما في حديث عائشة السابق ( مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ ) .

**ثانياً : الصدقة .**

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ ( اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وقال رضي الله عنه ( ليتق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة ) رواه أحمد .

وجاء عند الطبراني من حديث فضالة بن عبيد مرفوعاً ( اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً ، ولو بشق تمرة ) .

ولأحمد عن عائشة بإسناد حسن ( يا عائشة استتري من النار ، ولو بشق تمرة ، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان )

وقال رضي الله عنه ( يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ، فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ) متفق عليه .

**ثالثاً : البكاء من خشية من الله .**

قال رضي الله عنه ( لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ) رواه الترمذي .

وقال تعالى ( ولمن خاف مقام ربه جنتان ) .

**رابعاً : الصيام :**

قال رضي الله عنه ( الصيام جنة يستجن به من النار ) رواه أحمد ، وفي رواية ( وحصن حصين من النار ) .

وقال رضي الله عنه ( من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً ) متفق عليه .

**خامساً : والاستجارة بالله من النار .**

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار من النار ثلاث

مرات قالت النار اللهم أجره من النار ) رواه الترمذي .

والنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه : اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم، اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وفتنة النار، وفتنة القبر "

رواه البخاري .

ولذلك من صفات عباد الرحمن أنهم يقولون ( ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ) .

**سادساً : المحافظة على صلاة الفجر والعصر .**

قال رضي الله عنه ( لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ) رواه مسلم .

**سابعاً : الجهاد .**

قال رضي الله عنه ( من اغترب قدمه في سبيل الله فهما حرام على النار ) رواه الترمذي .

**ثامناً : حسن الخلق .**

قال رضي الله عنه ( من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار )

**تاسعاً : عتق الرقاب .**

قال رضي الله عنه ( من أعتق رقبة مؤمنة كانت فكاهه من النار ) .

**عاشراً : الكلمة الطيبة .**

للحديث السابق ( فَأَتَقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ )

قال النووي : فيه أن الكلمة الطيبة سبب للنجاة من النار .

الحادي عشر : التوحيد بإخلاص وصدق .

قال ﷺ ( إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله ) متفق عليه .

٢٧٠ - وعن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزازي ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْرِجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ ) حديث حسن رواه النسائي بإسناد جيد.

ومعنى «أَعْرِجُ»: أُلْحِقُ الْحَرَجَ وَهُوَ الْإِثْمُ بِمَنْ ضَعَّ حَقَّهُمَا، وَأَحَدَرُ مِنْ ذَلِكَ تَحْدِيرًا بَلِغًا، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زَجْرًا أَكِيدًا.

١-أوصى النبي ﷺ بالإحسان إلى الضعفاء من الناس وحفظ حقوقهم، كما أوصى باليتيم والمرأة على وجه الخصوص لزيادة ضعفهما . وهذا الحديث يوضح ذلك، حيث يقول فيه النبي ﷺ ( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْرِجُ حَقَّ ) أي: أُصَيِّقُ عَلَى النَّاسِ فِي تَضْيِيعِ حَقِّهِمْ، وَأَشَدُّ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، وَأَحَدَرُهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي ظُلْمِهِمْ، «الضَّعِيفِينَ» وهما اللذان لا حول لهما ولا قُوَّةَ، ولا يَنْتَصِرَانِ لِأَنْفُسِهِمَا . وقد وَصَفَهُمَا بِالضَّعْفِ: اسْتِعْطَافًا وَزِيَادَةً فِي التَّحْدِيرِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّمَا كَانَ أضعفَ كَانَتْ عِنَايَةُ اللَّهِ بِهِ أَكْبَرَ، وَاتَّقَامُهُ مِنْ ظَالِمِهِ أَشَدَّ. وَأَوَّلُ الضَّعِيفِينَ ( الْيَتِيمَ ) وهو الذي فَقَدَ أَبَاهُ صَغِيرًا، وَفَقَدَ جَمَاعَتَهُ وَرِعَايَتَهُ.

( والمرأة ) وَوَجْهَهُ ضَعْفُ الْمَرْأَةِ أَنَّهَا ضَعِيفَةٌ فِي الْجَسَدِ وَالْعَقْلِ .

٢- ففي الحديث الترهيب من التعرض لليتيم والمرأة بسوء .

قال تعالى (وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا).

وقال تعالى في هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا).

وقال تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ).

وقال ﷺ (اجتنبوا السبع الموبقات: ... وذكر منها: وأكل مال اليتيم) متفق عليه.

قال الرازي: ... وذلك كله رحمة من الله تعالى باليتامى، لأنهم لكامل ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة، وما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته وكثرة عفوه وفضله، لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى.

٣-وفي الحديث: عناية الإسلام بحقوق الضعفاء عموماً، واعتناؤه بحقوق اليتيم والمرأة خصوصاً .

٢٧١ - وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، قَالَ: رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ( هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ ) رواه البخاري هكذا مُرْسَلًا، فَإِنْ مَصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ تَابِعِيٌّ، وَرَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْبَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ مُتَّصِلًا عَنْ مَصْعَبٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ .

٢٧٢ - وعن أبي الدرداء عويمر ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ( ابْغُؤِي الضُّعْفَاءَ، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ، بِضَعْفَائِكُمْ ) رواه أبو داود بإسناد جيد .

( رأى ) أي : ظن ، وهي رواية النسائي .

( سعد ) بن أبي وقاص .

( أَنْ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ ) زاد النسائي ( من أصحاب رسول الله ﷺ ) أي : بسبب شجاعته ونحو ذلك .

( ابْغُؤِي الضُّعْفَاءَ ) أي : اطلبوا لي ضعفاءكم .

١- الحديث دليل على فضل الضعفاء والمساكين ، وقد تقدم ذلك .

وقد جاء عند النسائي قال ﷺ ( إنما تنصر هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم ) .

وقوله (رأى سعد أن له فضلاً على من دونه من الضعفاء؛ لقوته وشجاعته في الغزوات، فذكره النبي ﷺ بفضله من دونه من الضعفاء، وأن الله يرؤفهم وينصُرهم بسبب دعائهم، فإذا كان القوي ينصُر به الله المسلمين بشجاعته وقوته في محاربة الأعداء؛ فإنه تعالى ينصُر المسلمين أيضاً بدعاء ضعفائهم وتدلُّهم لله تعالى، ففي كلِّ خيرٍ، وقد أراد ﷺ بهذا القول حَضَّ سعدٍ ﷺ على التواضع، ونَفْي الكِبَرِ والرَّهْوِ عن قلوب المؤمنين؛ حتى لا يَحْتَقِرَ أحدٌ أحداً من المسلمين.

قال الحافظ : قَالَ بن بَطَّالٍ تَأْوِيلُ الْحَدِيثِ أَنَّ الضُّعْفَاءَ أَشَدُّ إِخْلَاصًا فِي الدُّعَاءِ وَأَكْثَرُ خُشُوعًا فِي الْعِبَادَةِ لِخَلَاءِ قُلُوبِهِمْ عَنِ التَّعَلُّقِ بِرُخْرُفِ الدُّنْيَا وَقَالَ الْمُهَلَّبُ أَرَادَ ﷺ بِذَلِكَ حَضَّ سَعْدٍ عَلَى التَّوَاضُّعِ وَنَفْيِ الرَّهْوِ عَلَى غَيْرِهِ وَتَرْكِ احْتِقَارِ الْمُسْلِمِ فِي كُلِّ حَالَةٍ .

٢- لعل في حديث النسائي (إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعْفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ) ما يفسر السبب الكامن وراء اعتبار الضعفاء سبباً في تحقق النصر ، فهم أشدُّ إخلاصاً في الدُّعَاءِ وَأَكْثَرُ خُشُوعًا فِي الْعِبَادَةِ لِخَلَاءِ قُلُوبِهِمْ عَنِ التَّعَلُّقِ بِرُخْرُفِ الدُّنْيَا كما قال ابن بطال في تأويل الحديث.

٣- اهتمام الإسلام بشأن الفقراء .

٤- فضل دعاء المضطر سواء كان فقيراً أو مظلوماً .

٥- فضل الخضوع والخشوع والتذلل لله تعالى .

٦- على الدعاة الاقتداء بالنبي ﷺ في الاهتمام بالفقراء والضعفاء .

٧- من أسباب الرزق الاهتمام بالفقراء والضعفاء .

٨- العناية بضعفاء الأمة والاهتمام بهم سبب من أسباب نزول نصر الله تعالى على عباده المؤمنين .

٩- من أسباب إجابة الدعاء التضرع والإخلاص والخشوع .